﴿۞فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٢٩﴾ [القصص: 29]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ذكـرُ مـا فعـلَهُ مـــوسى عليه السلام، بـعـدَ زواجـــه وقضائِهِ الأجلَ

لمّا التزمَ موسى عليه السلام زوَّجهُ شُعيبٌ ابنتَهُ كما شرطَ، واستمرَّ عندَهُ حتَّى قضَى ما عليهِ، ثمَّ كانَ منهُ ما أخبرَ عنهُ ﷺ بقولِهِ: ﴿۞فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ﴾ الآيةَ[1]. ومفادها أنّ موسى رجع بأهله إلى مصر، وأبصر في طريقه من ناحية جبل الطّور نارًا، فعزم على الذّهاب إليها وحده، لعلّه يأتي منها بخبر، أو جذوة من النّار يستدفئون بها[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡأَجَلَ﴾: (أجل) أصلٌ يَدُلُّ عَلَى خَمْسِ كَلِماتٍ مُتَباينَةٍ، لا يَكادُ يُمْكِنُ حَمْلُ واحِدَةٍ عَلَى واحِدَةٍ مِنْ جِهَةِ القياسِ، فَكُلُّ واحِدَةٍ أصْلٌ في نَفْسِها[3]. فالأجَلُ: المُدَّةُ المضروبةُ للشَّيءِ[4]، قالَ ﷺ: ﴿وَلِتَبۡلُغُواْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى﴾ [غافر: 67]، ويقالُ: دَيْنُهُ مُؤجَّلٌ، وقد أجَّلْتُهُ، أي: جعلتُ لهُ أجَلًا، ويقالُ للمُدَّةِ المضروبةِ لحياةِ الإنسانِ: أجَلٌ، فيقالُ: دَنا أجَلُهُ، أي: دَنا موتُهُ، وأصلُهُ: استيفاءُ الأجَلِ، أي: مُدَّةِ الحياةِ، والآجِلُ ضدُّ العاجلِ[5]. ومعنى الأجلِ في الآيةِ: المدَّةُ المتَّفقُ عليها بينَ موسى وشعيبٍ عليهما السلام، وقد قضَى موسى أتمَّ الأجلينِ، وهو عشرُ حِجَجٍ.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 276.
(2) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 579.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أجل).
(4) الخليل، العين، والجوهريّ، الصّحاح: (أجل).
(5) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (أجل).

2) ﴿ءَانَسَ﴾: (أنس) أصلٌ يدلُّ على ظُهورِ الشَّيءِ، وكلُّ شيءٍ خالفَ طريقةَ التَّوحُّشِ، يقالُ: آنَسْتُ الشَّيءَ، أي: رأيتُهُ، وأنِسَ الإنسانُ بالشَّيءِ، إذا لم يستوحشْ منهُ[1]، والإنسُ: خلافُ الجنِّ، والإنسيُّ منسوبٌ إلى الإنسِ، يقالُ ذلكَ لمَنْ كَثُرَ أُنْسُهُ، ولكلِّ ما يُؤْنَسُ بهِ، وجمعُ الإنسِ: أناسيُّ، قالَ ﷻ: ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ [الفرقان: 49]، وأمّا الإنسانُ فقيلَ: سُمّيَ بذلكَ؛ لأنَّهُ خُلِقَ خِلْقةً لا قِوامَ لهُ إلا بأُنْسِ بعضِهم ببعضٍ، ولهذا قيلَ: الإنسانُ مدنيٌّ بالطَّبعِ، ولا يمكنُهُ أنْ يقومَ بجميعِ أسبابِهِ، وقيلَ: سُمّيَ بذلكَ؛ لأنَّهُ يأنسُ بكلِّ ما يألفُهُ، وقيلَ: أصلُهُ: إنْسيانٌ، سُمّيَ بذلكَ؛ لأنَّهُ عَهِدَ اللّهُ إليهِ فنَسيَ[2]. والمرادُ بالإيناسِ في الآيةِ: الإبصارُ.

3) ﴿ٱلطُّورِ﴾: (طور) أصلٌ يدلُّ على امتدادٍ في شيءٍ مِنْ مكانٍ أو زمانٍ[3]، ولذلكَ يقالُ: عَدا طَوْرَهُ، أي: جازَ الحدَّ الَّذي هو لَهُ مِنْ دارِهِ، ثمَّ استُعيرَ ذلكَ في كلِّ شيءٍ يتعدَّى، ويقالُ: فعلَ ذلكَ طَوْرًا بعدَ طَوْرٍ، كأنَّهُ فعلَهُ مدَّةً بعدَ مدَّةٍ[4]، والطّورُ: الجبل، وفي الرّوضِ الأُنُف: الطّور: كلّ جبل يُنبِت الشّجر، فإن لم يُنبِت شيئًا فليس بطور.. قال الفرّاء في قوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾﴾ [الطّور: 1-2]، هو الجبل الّذي بمَدْيَن، الّذي كلّم اللّه تعالى موسى عليه تكليمًا[5]، وقيلَ: هو اسمٌ لكلِّ جبلٍ، وقيلَ: اسمٌ لجبلٍ مخصوصٍ[6]، وطورُ سَيْناءَ: جبلٌ معروفٌ بالشّامِ، قالَ جلَّ وعزَّ: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ [المؤمنون: 20][7].

4) ﴿بِخَبَرٍ﴾: (خبر) أصل يدلُّ على العِلمِ، فالخُبْرُ: هو العلمُ بالشَّيءِ[8]، يقالُ: ما لي بهِ خُبْرٌ، أي: عِلمٌ[9]، ويقالُ: أخبرتُ، أي: أعلمتُ بما حصلَ لي مِنَ الخَبَرِ[10]، واستخبرَهُ:

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أنس).
(2) الرّاغب، المفردات: (أنس).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (طور).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (طور).
(5) الزّبيديّ، تاج العروس من جواهر القاموس: (طور).
(6) السّمين، عمدة الحفاظ: (طور).
(7) الرّاغب، المفردات: (سين)، والزّبيديّ، تاج العروس: (طور).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خبر).
(9) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (خبر).
(10) الرّاغب، المفردات: (خبر).

سألَهُ عن الخَبَرِ، وطلبَ أنْ يُخبِرَهُ[1]، والخبيرُ في صفاتِهِ سبحانَهُ بمعنى العالمِ ببواطنِ الأمورِ وظواهرِها، وبما كانَ منها وما يكونُ، والعالِمُ بأخبارِ مخلوقاتِهِ[2]. والمرادُ بالخبرِ في الآيةِ: نبأُ المكانِ الَّذي تظهرُ منهُ النّارِ.

5) ﴿جَذْوَةٍ﴾: (جذو) أصلٌ يدلُّ على الانتصابِ، والجَذْوةُ: القطعةُ مِنَ الحَطَبِ بعدَ التهابِ النّارِ فيها، وقيلَ: هي الجمرةُ الملتهبةُ، وقالَ مقاتل وقَتادَة: الجذوة العود الَّذي احْتَرَقَ بعضه، وجَمعها جُذًى، والجيم في جذوة مُثَلَّثَة وهي لُغات وقراءات[3]، وقال القَسْطَلّانيّ: وقيل: الجذوة العود الغليظ سواء كان في رأسه نار، أو لم يكن، وليس المراد هنا إلّا ما في رأسه نار[4]، وقال ابن السّكيت: جذوة من النّار وجذى، هو العود الغليظ يؤخذ فيه نار[5]، قال مجاهد: جذوة من النّار، أي قطعة من الجَمر، وهي بلغة جميع العرب[6].

6) ﴿تَصْطَلُونَ﴾: (صلي) أصلٌ يدلُّ على النّارِ وما أشبهَها مِنَ الحُمَّى[7]، والصَّلْيُ: الإيقادُ بالنّارِ، يقالُ: صَلِيَ بالنّارِ، واصطلَى بها، وصَلَيْتُ الشّاةَ: شَوَيْتُها، فهي مَصْلِيَّةٌ[8]، قال الزّجّاج: جاء في التّفسير أنّهم كانوا في شتاء، فلذلك احتاج إلى الاصطلاء[9]، وبه قال ابن عبّاس[10]، والصَّلْيُ مصدر صَلِيَ النّارَ، وفي التَّنْزيل العَزيز ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾ [مريم: 70][11]. ومعنى ﴿تَصْطَلُونَ﴾ في الآيةِ: تستدفئونَ مِنَ البردِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لمّا وفَّى موسى صاحبَهُ الأجلَ الَّذي فارقَهُ عليهِ، عندَ إنكاحِهِ إيّاهُ ابنتَهُ، وهو العَشْرُ

(1) الزّبيديّ، تاج العروس: (خبر).
(2) السّمين، عمدة الحفّاظ: (خبر).
(3) بدر الدين العينيّ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري: 19/ 106.
(4) القسطلانيّ، إرشاد السّاري لشرح صحيح البخاري: 5/ 375.
(5) ابن منظور، لسان العرب: (جذا).
(6) الزَّبيديّ، تاج العروس من جواهر القاموس: 37/ 335.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صلي).
(8) الرّاغب، المفردات: (صلي).
(9) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (صلي).
(10) نشوان بن سعيد الحميريّ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: (الاصطلاء).
(11) مجمع اللّغة العربيّة القاهريّ، المعجم الوسيط: (الصّلا).

الحِجَجِ، وسارَ بأهلِهِ، أبصرَ نارًا مِنْ جانبِ الطّورِ، قالَ لأهلِهِ: تمهَّلوا وانتظِروا؛ إنّي أبصرتُ نارًا، لعلّي آتيكم مِنَ النّارِ بخبرٍ أو بقِطْعةٍ غليظةٍ مِنَ الحَطَبِ، فيها النّارُ، لعلَّكم تستدفئونَ بها مِنْ بَرْدِ الشِّتاءِ[1].

طلبُ موسى عليه السلام ما يُعينُهُ في مسلك السَّفرِ من قبس أو خبر

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الفاءِ في قولِهِ: ﴿فَلَمَّا﴾:

الفاءُ في قولِ الحقِّ جلَّ شأنُهُ: ﴿۞فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ﴾ فصيحةٌ، وهي تُفْصِحُ عن محذوفٍ تقديرُهُ: فعقَدا العَقْدينِ، وباشرَ موسى عليه السلام ما التزمَ، فلمّا قضَى الأجلَ وأتمَّهُ، وسارَ بأهلِهِ آنَسَ مِنْ جانبِ الطّورِ نارًا[2].

بيان حال موسى في رحلة العودة مع أهله من مدين

دلالة إعراب قولِهِ: ﴿فَلَمَّا﴾:

لفظ ﴿۞فَلَمَّا﴾، في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿۞فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ﴾، ظرفٌ بمعنى (حينَ)، مُتضمِّنٌ معنى الشَّرطِ، مُتعلِّقٌ بالجوابِ ﴿ءَانَسَ﴾، وهو منبئ عن الزّمن الّذي وقعت فيه هذه الأحداث، وربط بعضها ببعض، في اتّساق وتكامل، يضمّ السّابق إلى اللّاحق، ويحقّق الوحدة الموضوعيّة في كليّاتها وجزئيّاتها.

بيان أنّ الظرفيّة مفصحة عن المراد في السّياق

دلالةُ التّعبيرِ بالماضي ﴿قَضَىٰ﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي، في قولِهِ ﷻ: ﴿۞فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ القضاءِ ووقوعِهِ، وأنَّهُ أمرٌ قد مضَى وانقضَى، لا شكَّ فيهِ ولا ارتيابَ، وكذلكَ سائرُ الأفعالِ الماضيةِ في الآيةِ، وهو في الآية يشير إلى أنّ موسى

مفاد تحقُّقِ قضاءِ الأجل، والوفاء بالالتزام

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 568.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 276، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 11، والآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 280.

ﷺ، قد أتمّ المدّة الّتي اتّفق مع صهره عليها، بصورة تتناسب مع قدره كنبيٍّ من أولي العزم المميَّزين، ولذلك قال ابن عبّاس: "قضى أتمَّ الأجلَيْن وأكمَلَهما وأوفاهما، وهو عشر سنين".

نكتة إظهارِ الفاعلِ ﴿مُوسَى﴾:

الظّاهرُ أنْ يقالَ: (فلمّا قضَى الأجلَ)؛ لتقدُّم ذكرِ موسى ﷺ قبلَ ذلكَ، لكنْ عُدِلَ عنهُ إلى الإظهارِ، في قولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿۞فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ﴾؛ للإيذانِ بانتقالِ الحديثِ إلى موسى ﷺ بخصوصِهِ، بعدَ المُقاوَلةِ السّابقةِ بينَهُ وبينَ صاحبِهِ في مَدْيَنَ.

التّنبيهُ على انتقالِ الحديثِ عن موسى ﷺ

دلالةُ (أل)، في قولِهِ: ﴿ٱلۡأَجَلَ﴾:

تعريفُ ﴿ٱلۡأَجَلَ﴾ في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿۞فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ﴾ للعهدِ، والمرادُ: أتمُّ الأجلينِ وأوفاهما وأكملُهما، وهو عَشْرُ حِجَجٍ[1]، كما ورد في الرّوايات، ولا شكّ أنّ الأجل، إنّما هو مضمون العقد الّذي تعاهد عليه الطّرفان، بصورة مسبقة، والتزما به حتّى النّهاية.

التّعريفُ للعهدِ، مسهمٌ في الإبانة عن المراد

معنى الواوِ في جملة: ﴿وَسَارَ﴾:

الواوُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ﴾ عاطفةٌ لـ (سارَ) على ﴿قَضَىٰ﴾، وهي تفيدُ أنَّ السَّيرَ لم يتحقَّقْ عَقيبَ الإتمامِ، بل بعدَهُ بمُدَّةٍ[2]، ولذلكَ لم تَرِد (سارَ) جوابًا لـ (لمّا)[3]، وسار فعل من مبادرة موسى ﷺ، سار بأهله من مدين باتّجاه مصر، لزيارة أهله خفية من فرعون، فسلك بهم في ليلة مطيرة حالكة الظّلام، شديدة البرد، فنزل منزلًا[4]، وسط الجوّ البارد، والظّلام الدّامس، وهو

ربطُ المعنى بين الجمل في سياقها المتّصل، هو سرّ الوصل فيها

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 234، والنّسفيّ، مدارك التنّزيل: 2/ 640، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 277.

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 505.

(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 277.

(4) أسعد حومد، أيسر التّفاسير، ص: 3163.

مسؤول عن نفسه، وعن زوجته الحامل، فعبّر السّياق بفعل السّير، لأنّه مقتضى الحال، في اللّيالي الثّقال، بخطير الفعال، الواقعة يقينا لا يَعْتَوِرُه ريب، ولا يخالطه شكّ، ولا يُدرِك كُنْهَه إلّا من يتدبّر النّصّ، ويؤمن بحماية اللّه لعباده، في كلّ سير يقع، وفي كلّ درب يقطع.

معنى الباءِ في شبه الجملة: ﴿بِأَهۡلِهِۦٓ﴾:

دروب النّبيئين وأهليهم، محفوفة بالمعاناة والعوائق

باءُ ﴿بِأَهۡلِهِۦٓ﴾ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ﴾ للتَّعديةِ، ويلزمُ منهُ سَيْرُهُ ﷺ أيضًا؛ لِما أنَّ في الباءِ هنا معنى الاستصحابِ، إذا قلتَ: ذهبتُ بزيدٍ يكونُ معناهُ: أذهبتُ زيدًا، وذهبتُ أيضًا، بخلافِ أذهبتُ زيدًا؛ فإنَّهُ لا يقتضي ذهابَ المُتكلِّمِ، وكذا ﴿وَسَارَ﴾. ويحتملُ أنْ تكونَ الباءُ للملابسةِ، أي: سارَ ﷺ ملتبسًا بأهلِهِ[1].

بلاغةُ الكنايةِ في قولِهِ: ﴿بِأَهۡلِهِۦٓ﴾:

الأهلُ كنايةٌ عن امرأتِهِ وآلِ بيته الأقربين

في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ﴾ كنايةٌ لطيفةٌ، وذلكَ أنَّ الأهلَ هنا كنايةٌ عن امرأتِهِ[2]، وقيلَ: كانَ معَهُ امرأتُهُ وولدُها وخادمُها. وقيلَ غيرُ ذلكَ، قال الرّازيّ: "وقوله: ﴿وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ﴾ ليس فيه دلالة على أنّه خرج منفردًا معها، وقوله: ﴿ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ فيه دلالة على الجمع"[3].

نكتةُ التَّعبيرِ بالإيناسِ دونَ الإبصارِ:

الإيناسُ أبلغُ دلالةً وأدقّ تعبيرًا مِنَ الإبصارِ

﴿ءَانَسَ﴾ في قولِ الحقِّ تباركَ شأنُهُ: ﴿۞فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ﴾، معناهُ: أبصرَ إبصارًا بيِّنًا لا شُبْهَةَ فيهِ، ومنهُ إنسانُ العينِ؛ لأنَّهُ يُتبيَّنُ بهِ الشَّيءُ[4]، ولذا اختيرَ هنا ﴿ءَانَسَ﴾ على (أبصرَ)[5]. ومِثلُ ذلكَ يقالُ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾.

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 505.
(2) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 71.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 592.
(4) الزّمخشري، الكشّاف: 3/ 53.
(5) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 506.

دلالة حرف الجرّ ﴿مِن﴾:

أهـمـيّـة حـرف المـعـنـى في دقّـة الـدّلالـة ووضوحها

قوله تعالى: ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾، في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ حالٌ مِنْ قولِهِ: ﴿نَارًا﴾، أي: ثابتةً في جانبِ الطّورِ، وعليهِ فـ ﴿مِن﴾ بمعنى (في). أو مُتعلِّقٌ بحالٍ خاصَّةٍ، أي: لامعةً مِنْ جانبِ الطّورِ، وعليهِ فـ ﴿مِن﴾ للابتداءِ[1].

المرادُ بقولِهِ: ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾:

قولُهُ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾، معناهُ: أبصرَ مِنَ الجهةِ الَّتي تَلي الطّورَ[2]. وليسَ المرادُ بهِ بعضَ الجبلِ، كما هو المتبادرُ[3].

سرّ تقديمِ ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ على ﴿نَارًا﴾:

بـيـان أنّ التّقديم، عنايةٌ بـالمُـقـدَّم، وتـشـويـقٌ للمُؤخَّر

قُدِّمَ ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ على ﴿نَارًا﴾، في قولِهِ تعالى: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾؛ للعنايةِ بالمُقدَّم، وهو كونُ الإيناسِ مِنْ جانبِ الطّورِ، وهو الجبلُ المباركُ رفيعُ الشَّأنِ، والتَّشويقِ إلى المُؤخَّرِ، وهو النّارُ الَّتي وقعَ عليها الإيناسُ، وتطلَّعَتْ إليها نفسُ موسى عليه السلام؛ لحاجتِهِ إليها.

نكتةُ تنكيرِ لفظِ: ﴿نَارًا﴾:

تنكيرُ ﴿نَارًا﴾ في قولِهِ عزّ وجلّ: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾؛ للإفرادِ، والمعنى: آنسَ مِنْ جانبِ الطّورِ فردًا غيرَ مُعيَّنٍ مِنْ أفرادِ الجنسِ المُسمَّى بالنّارِ.

علَّةُ فصلِ جملة ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ﴾:

الفصلُ لشِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ، مبينٌ عن المراد في المقال

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾ عمّا قبلَهُ؛ لما بينَهما مِنْ شِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ الموجِبِ للفصلِ؛ لأنَّهُ استئنافٌ جوابًا عن سؤالٍ

(1) الطفيش، تفسير اطفيش: 7/ 377.
(2) البيضاوي، أنوار التّنزيل: 4/ 176، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 12.
(3) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 71.

نشأ مِنَ الكلامِ السّابقِ، كأنَّهُ قيلَ: ماذا فعلَ عندَما أبصرَ النّارَ مِنْ جانبِ الطّورِ؟ فقيلَ: ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾[1].

نكتةُ وضعِ الظّاهرِ موضعَ المُضمَرِ:

ذكرُ الأهلِ باسمٍ يوجِبُ النَّفعَ لهُم جبلّة في الإنسان

الظّاهرُ أنْ يقالَ: (قالَ لهُم امكُثوا)؛ لتقدُّمِ ذكرِ الأهلِ، في قولِهِ تعالى: ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾، لكنْ عُدِلَ إلى الإظهارِ، فقيلَ: ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾؛ ليذكُرَهم باسمٍ يوجِبُ النَّفعَ لهُم، وهو كونُهم أهلًا لهُ يسعَى فيما ينفعُهم مِنْ نارٍ ودلالةٍ على طريقٍ، ولأنَّهُ في جوابِ سؤالٍ، كأنَّهُ قيلَ: فماذا فعلَ أو قالَ؟ فقيلَ: ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾[2]، فحسَّنَ الإظهارَ كونُ الكلامِ جوابَ سؤالٍ مُقدَّرٍ.

غرضُ تقديمِ ﴿لِأَهْلِهِ﴾ على مَقولِ القولِ:

ملمح العناية بالمُقدَّمِ، ومراعاةِ حُسْنِ انتظامِ الكلامِ

قُدِّمَ ﴿لِأَهْلِهِ﴾ على مَقولِ القولِ، في قولِهِ ﷻ: ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾؛ للعنايةِ بالمُقدَّمِ، وهو كونُ القولِ للأهلِ الَّذينَ كانَ يحرصُ موسى ﷺ، على نفعِهم وصلاحِ شؤونِهم، ولأنَّ في مَقولِ القولِ طولًا، فربَّما يُخِلُّ تقديمُهُ بحُسْنِ انتظامِ الكلامِ، وبملاءمةِ فاصلةِ الآيةِ لِما قبلَها.

دلالةُ الأمرِ في قولِهِ: ﴿ٱمْكُثُوٓاْ﴾:

الأمـرُ للوجوبِ من السّياقِ المبين عن المطلوب

الظّاهرُ أنَّ الأمرَ في قولِ الحقِّ جلَّ شأنُهُ: ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ للوجوبِ؛ لأنَّهُ الأصلُ، ولا صارفَ عنهُ هنا. وفي أمرِ موسى ﷺ أهلَهُ بذلكَ مزيدُ حرصٍ منهُ ﷺ عليهِم وعلى ما فيهِ نفعُهم ومصلحتُهم.

سرُّ التَّعبيرِ بصيغةِ جمعِ الذُّكورِ:

للتَّعبيرِ بالجمعِ نُكَتٌ مُتعدِّدةٌ في السّياقِ

قولِهِ: ﴿ٱمْكُثُوٓاْ﴾، وفيه اختُلِفَ في علَّةِ التَّعبيرِ، بصيغةِ جمعِ الذُّكورِ، من قولِهِ تعالى: ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾: فقيلَ: لم يكنْ معَ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 277.
(2) اطفيّش، تفسير اطفيّش: 7/ 377.

موسى ﷺ غيرُ امرأتِهِ، وقد كنَى اللّٰهُ عنها بالأهلِ، فتبعَ ذلكَ ورودُ الخطابِ على لفظِ الجمعِ؛ فإنَّ الأهلَ يقعُ على الجمعِ[1]. وقيلَ: يجوزُ أنْ يكونَ الخطابُ للمرأةِ وولدِها والخادمِ الَّذي معَها[2].

وقيلَ: قد يُخاطَبُ الواحدُ بلفظِ الجماعةِ تفخيمًا[3]. وقيلَ: لمّا كانَ النِّساءُ أعظمَ ما ينبغي سَتْرُهُ أُطلِقَ عليها ضميرُ الذُّكورِ، فقيلَ: ﴿ٱمْكُثُوٓاْ﴾[4]. وقيلَ: كانَ معَهُ ﷺ امرأتُهُ وخادمٌ، ويُخاطَبُ الاثنانِ بصيغةِ الجمعِ، وعلى قولٍ آخرَ كانَ معَهُ ولدانِ لهُ، وُلِدا لهُ زمانَ إقامتِهِ عندَ شُعيبٍ ﷺ[5].

موقعُ جملةِ ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ﴾ ممّا قبلَها:

بيان أنّ الجملة استئنافٌ تعليليٌّ، للأمرِ بالمكثِ

قولُهُ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ استئنافٌ في معنى التَّعليلِ للأمرِ[6]، أي: امكُثوا؛ لأنّي آنستُ نارًا. وقيلَ: هذا دليلٌ على أنَّها ليسَتْ نارًا ماديَّةً يوقِدُها بشرٌ، وإلّا لاستوَى أهلُهُ معَهُ في رؤيتِها، فهذا أمرٌ خاصٌّ بهِ[7].

نكتةُ التَّوكيدِ في ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾:

تحقيقُ الإيناسِ لتوطينِ الأنفُسِ على وجودِ ما يؤنس

تأكَّدَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾؛ لأنَّهُ لمّا وُجِدَ منهُ الإيناسُ، فكانَ مقطوعًا مُتيقَّنًا - حقَّقَهُ لهُم؛ ليوطِّنَ أنفُسَهم[8]، وذلكَ بإدخالِ (إنَّ)، والجملةِ الاسميَّةِ، وتقديمِ المسندِ إليهِ على الخبرِ الفعليِّ[9]. وقيلَ: التَّأكيدُ لاستبعادِ أنْ يكونَ في ذلكِ المكانِ القَفْرِ وفي ذلكِ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 349، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 22/ 16.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 22/ 16.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 22/ 16.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 277.
(5) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 280.
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 277، والآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 280.
(7) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 17/ 10912.
(8) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 53، والبيضاويّ، أنوار التنّزيل: 4/ 24.
(9) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 320.

الوقتِ الشَّديدِ البَرْدِ نارٌ[1]. وقيلَ: التَّأكيدُ لقصدِ الاهتمامِ بالخبرِ بِشارةً لأهلِهِ؛ إذ كانوا في الظُّلمةِ[2]. وقيلَ: التَّأكيدُ؛ لأنَّ زوجَهُ تردَّدَتْ في ظُهورِ نارٍ؛ لأنَّها لم تَرَها[3].

سرّ تقديمِ المسندِ إليهِ على المسندِ:

إفـادةُ ملمح التّكرار تقوّي حكم إيناسِ النّارِ

قُدِّمَ المسندُ إليهِ على المسندِ الفعليِّ، في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾؛ لإفادةِ تقوّي حكم إيناسِ النّارِ.

بيانُ ذلكَ: أنَّ في قولِهِ: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ نسبةَ الإيناسِ إليهِ، وفي ﴿ءَانَسۡتُ﴾ ضميرٌ راجعٌ إليهِ، فيفيدُ إسنادَ الإيناسِ إليهِ مرَّةً أخرى، كأنَّهُ قيلَ: إنّي آنستُ نارًا، إنّي آنستُ نارًا.

الغرضُ مِنْ تنكيرِ لفظ: ﴿نَارٗا﴾:

تنكيرُ ﴿نَارٗا﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾؛ للإفرادِ، والمعنى: إنّي أبصرتُ إبصارًا بيِّنًا لا شُبْهةَ فيهِ، فردًا مِنْ أفرادِ الجنسِ المُسمَّى بالنّارِ.

علَّةُ فصلِ ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾ عمّا قبلَهُ:

الفصلُ لشِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ مفيدٌ في إبرازِ بيانِ السّياقِ

فُصِلَ قولُهُ ﷻ: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾، عمّا قبلَهُ؛ لِما بينَهما مِنْ شِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ الموجبِ للفصلِ؛ فهو استئنافٌ بيانيٌّ جوابًا عن سؤالٍ مُقدَّرٍ نشأ مِنَ الكلامِ السّابقِ، كأنَّهُ لمّا قالَ لأهلِهِ: ﴿ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾، قيلَ لهُ: فماذا تعملُ؟ فقالَ: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾[4].

نكتةُ التَّعبيرِ بأسلوبِ التَّرجّي ﴿لَّعَلِّيٓ﴾:

الإتيانُ بالخبرِ أو الجَذْوةِ، مُترقَّبٌ مُتوقَّعٌ

في قولِهِ: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾، أنّه لمّا كانَ الإتيانُ بالخبرِ أو الجَذْوةِ مُترقَّبًا مُتوقَّعًا - بنَى الأمرَ على الرَّجاءِ والطَّمَعِ، وقالَ:

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 277.
(2) ابن عاشور، التحرير والتّنوير: 16/ 194.
(3) ابن عاشور، التحرير والتّنوير: 19/ 225.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 278.

﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾، ولم يقطعْ فيقولَ: (إنّي آتيكم)؛ لئلّا يَعِدَ ما ليسَ بمُستيقنِ الوفاءَ به[1]. وقيلَ: عُبِّرَ بالتَّرجّي؛ لأنَّهُ أليقُ بالتَّواضعِ الَّذي هو مقصودُ السّورةِ[2].

دلالةُ المضارعِ ﴿ءَاتِيكُم﴾:

عَبَّرَ البيانُ القرآني بصيغةِ المضارعِ، في قوله ﷻ: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾؛ لأنَّ الإتيانَ بالخبرِ أو الجَذْوةِ أمرٌ مرجوٌّ حصولُهُ في المستقبلِ، وصيغةُ المضارعِ تدلُّ على الاستقبالِ.

الـدَّلالـةُ على الاستقبالِ منبئة عن المعنى المراد

نكتة تقديمِ ﴿مِّنۡهَا﴾ على ﴿بِخَبَرٍ﴾:

قُدِّمَ ﴿مِّنۡهَا﴾ على ﴿بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾، في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾؛ للعنايةِ بالمُقدَّم، وهو كونُ الإتيانِ مِنَ النّارِ، والتَّشويقِ إلى المُؤخَّر، وهو الخبرُ أو الجَذْوةُ، ولأنَّ في قولِهِ: ﴿بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾، نوعَ طولٍ، فربَّما يُخِلُّ تقديمُهُ بتجاوبِ أطرافِ الكلامِ.

بـيـان الـعـنـايـة بالمُقدَّمِ، ورِعاية حُسْنِ النَّظمِ

معنى (مِنْ) في قولِهِ: ﴿مِّنۡهَا﴾:

(مِنْ) في قولِ اللهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾ للابتداءِ، أي: مِنْ عندِها[3]، أو مِنْ أهلِها، على حذفِ مضافٍ، أو مِنَ النّارِ؛ إذ هي جهةٌ يُؤتَى منها وإليها[4].

نكتةُ تنكيرِ قولِهِ: ﴿بِخَبَرٍ﴾:

تنكيرُ ﴿بِخَبَرٍ﴾ في قولِهِ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾ للإفرادِ، أي: لعلّي آتيكم منها بفردٍ مِنْ أفرادِ الجنسِ المُسمَّى بالخبرِ، ومفاد ذلك، أنّه خرج بأهله وماله في فصل الشّتاء.. فسار

التَّنكيرُ للإفرادِ، مُفْضٍ إلى تبريز المعنى المراد

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 53، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 22/ 16.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 278.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 278.
(4) اطفيّش، تفسير اطفيّش: 7/ 377.

في البريّة لا يعرف طرقها،.. وقيل: أضلّ الطّريق يومًا حتّى أدركه اللّيل، فأخذ امرأتَهُ الطَّلْقُ، فقَدَحَ زَنْدَه فأصْلَدَ، فنظر فإذا نار تلوح من بعد، ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾، أي بخبر الطّريق، بأن أجد عندها من يخبرني به[1].

دلالة الحرف ﴿أَوْ﴾ في: ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾:

بيان أثر حرف المعنى في توجيه السّياق

الظّاهرُ أنَّ ﴿أَوْ﴾ في قولِ الباري ﷻ: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ لمنعِ الخُلوِّ دون جمع[2]، وقيلَ: ﴿أَوْ﴾ للتَّخييرِ؛ لأنَّ إتيانَهُ بالجَذْوةِ أمرٌ مُحقَّقٌ، فهو إمّا أنْ يأخذَ الجَذْوةَ لا غيرُ، وإمّا أنْ يزيدَ فيجدَ صاحبَ النّارِ قاصدًا الطَّريقَ مِثْلَهُ فيصحبَهُ[3].

سرُّ الإتيانِ بـ ﴿أَوْ﴾ في قولِهِ: ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾:

التّنبيهُ على أنّ قوّةَ الرَّجاءِ من صميمِ عقيدةِ الأنبياء

جاء في قولِ الحقِّ تباركَ شأنُهُ: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾، قولُه ﴿أَوْ﴾ دونَ الواوِ؛ لأنَّ موسى ﷺ بنَى الرَّجاءَ على أنَّهُ إنْ لم يَظْفَرْ بحاجتِهِ جميعًا لم يَعْدَمْ واحدةً منهما؛ ثقةً بعادةِ اللّهِ ﷻ، أنَّهُ لا يكادُ يجمعُ بينَ حِرْمانينِ على عبدِهِ، وقد ظَفِرَ موسى ﷺ، حينَ أتَى هذهِ النّارِ، بعِزِّ الدُّنيا وعِزِّ الآخرةِ[4].

سرُّ تنكيرِ ﴿جَذْوَةٍ﴾ في السّياق:

التّنكيرُ للإفرادِ من صميمِ البيانِ المستفاد

تنكيرُ ﴿جَذْوَةٍ﴾ في قولِهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ للإفرادِ، أي: أو بفردٍ مِنْ أفرادِ الجنسِ المُسمَّى بالجَذْوةِ. وجذوة عطف على خبر، وهي مثلّثة الجيم: الشّعلة من النّار، والقطعة من الحطب، وجَمْعُها جُذًا[5]، وتنكيرها تعميم؛ لأنّ موسى لحظتها، لم يكن يعرف كُنْهَ الجذوة ولا مداها، فكان التّنكير أليق بالمقام المتصوَّر هنا.

(1) الألوسيّ، روح المعاني: 10/ 280 (بتصرّف).
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 319.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 195.
(4) الزّمخشري، الكشّاف: 3/ 349.
(5) محيي الدّين درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 318.

معنى ﴿مِّنَ﴾ في قولِهِ: ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾:

ورود الحرف بمعاني شتّى، منبئ بتنوّع دلالته في السّياق

الجَذْوةُ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ هي العودُ الغليظُ، قيلَ: مُطلَقًا، وقيلَ: المُشتعِلُ، فإنْ كانَ الأوَّلَ فوصفُ الجَذْوةِ بأنَّها مِنَ النّارِ وصفٌ مُخصِّصٌ، وإنْ كانَ الثّاني فهو وصفٌ كاشفٌ، و﴿مِّنَ﴾ على الأوَّلِ بيانيَّةٌ، وعلى الثّاني تبعيضيَّةٌ[1]. وقيلَ: الجَذْوةُ نفسُ تلكَ الجمرةِ الغليظةِ في طرفِ العودِ بلا لَهَبٍ، وعليهِ فـ ﴿مِّنَ﴾ للابتداءِ[2].

دلالةُ التَّعريفِ في قولِهِ: ﴿ٱلنَّارِ﴾:

التّعريفُ للجنسِ أو للعهدِ، كلاهما مفيد في الإبانة

إنْ كانَ المرادُ بالجَذْوةِ في قولِهِ تعالى: ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾، العودَ الغليظَ ولو بلا نارٍ – فتسميتُهُ نارًا مبالغةٌ؛ لأنَّ حقيقتَها ذلكَ الجسمُ المُلتهِبُ، و﴿مِّنَ﴾ للبيانِ، وتعريفُ ﴿ٱلنَّارِ﴾ للجنسِ. وإنْ كانَ المرادُ بها نفسَ تلكَ الجمرةِ الغليظةِ في طَرَفِ العودِ بلا لَهَبٍ فـ ﴿مِّنَ﴾ للابتداءِ، والتَّعريفُ للعهدِ[3].

دلالة إعراب ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾:

جملةُ ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ استئنافيَّةٌ لا محلَّ لها مِنَ الإعرابِ[4]، والاستئنافُ بيانٌ لعلَّةِ الإتيانِ بجَذْوةٍ مِنَ النّارِ.

نكتةُ التَّرجّي في قولِهِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾:

الاصطلاءُ مُترقَّبٌ مُتوقَّعٌ، من السّياق المدرج

لمّا كانَ الاصطلاءُ مُترقَّبًا مُتوقَّعًا – بنَى الأمرَ فيهِ على الرَّجاءِ والطَّمَعِ، وقالَ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾، ولم يقطعْ فيقولَ: (إنَّكم تصطلونَ)؛ لأنَّهُ قد يَعْرِضُ ما يمنعُ مِنَ الاصطلاءِ. وفي قولِهِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ دلالةٌ على البَرْدِ، وأنَّ الوقتَ كانَ شتاءً[5].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 111.
(2) اطفيش، تفسير اطفيش: 7/ 377.
(3) اطفيّش، تفسير اطفيّش: 7/ 377.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 278.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 593.

والمعنى أنّ موسى ﷺ، قال لأهله: امكثوا في مكانكم، حتّى رجعتي إليكم، فإنّي لمحت نارًا، لعلّي آتيكم منها بخبر مفيد في بيان الطّريق، أو أقتطع لكم منها جذوة من الجمر، تستدفئون بها من البرد[1].

سرُّ المضارعِ في قولِهِ: ﴿تَصْطَلُونَ﴾:

كـلّ مـرجـوّ في الأزمة، هو لطف من الله ونعمة

عبَّرَ البيان القرآنيّ بصيغةِ المضارعِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾؛ لأنَّ الاصطلاءَ أمرٌ مرجوٌّ حصولُهُ في المستقبلِ، وصيغةُ المضارعِ تدلُّ على الاستقبالِ، وما ذكره موسى كان ضروريًّا لحالة البرد وضلال الطّريق الّتي كانوا يعانون منها، في ذلك السّفر المرهق، حيث الصّحراء الممتدّة، والمناخ الشّتويّ البارد، ومعاناة موسى وأهله آنئذٍ.

دلالةُ التّعبيرِ بصيغةِ الافتعالِ في قولِهِ: ﴿تَصْطَلُونَ﴾:

الاصـطـلاءُ محاولةُ الصَّلْي، وهـو رنـوٌّ للاستدفاء

الاصطلاءُ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾، افتعالٌ مِنَ الصَّلْي، وهو الشَّيُّ بالنّارِ. وقد دلَّتْ صيغةُ الافتعالِ على أنَّهُ محاولةُ الصَّلْي، فصارَ بمعنى التَّدفُّؤِ بوَهَجِ النّارِ[2].

التّشابه اللّفظيّ بين هذه الآية، وآيتي طه والنّمل:

الـتّـعـبـيـر عـن المشهد الواحد بـعـبـارات متنوّعة، زيادة تفصيل وبيان

تشابهَتْ هذهِ الآيةُ معَ قولِهِ تعالى: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾﴾ [طه: 10]، وقولِهِ: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾ [النّمل: 7].

ومِنْ وجوهِ الاختلافِ: أنَّهُ قالَ في النَّملِ: ﴿سَـَٔاتِيكُم﴾ [النمل: 7]، وقالَ هنا وفي طهَ: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم﴾، وهما بحسَبِ الظّاهرِ كالمتدافعينِ؛ لأنَّ أحدَهما تَرَجٍّ، والآخرَ تيقُّنٌ.

(1) محمّد سيّد طنطاويّ، التّفسير الوسيط للقرآن الكريم: 24/ 593.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 225.

والجوابُ: أنَّهُ قد يقولُ الرّاجي إذا قويَ رجاؤُهُ: سأفعلُ كذا، معَ تجويزِهِ الخَيبةَ[1]، أي: أنَّ العِدَةَ هنا مبنيَّةٌ على الظَّنِّ أيضًا وإنْ جاءَتْ بلفظِ القَطْعِ[2]. **ومنها:** سقوطُ قولِ موسى ﷺ لأهلِهِ: ﴿ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ في آيةِ النَّملِ. **والجوابُ**: أنَّهُ قد يكونُ ممّا قالَهُ ﷺ نُطْقًا باللُّغةِ الَّتي كلَّمَهم بها، وقد يكونُ ممّا فهمَهُ عنهُ أهلُهُ بإشارةٍ أو قرينةِ حالٍ، فيكونُ قد أمرَهم بذلكَ على كلِّ حالٍ إمّا بنُطْقٍ أو غيرِهِ، فمرَّةً حُكيَ معنى نُطْقِهِ أو مرادِهِ بما قد فهمَ عنهُ أهلُهُ الأمرَ، ومرَّةً اكتُفيَ بما بعدَ هذا الأمرِ.

ومنها: تقديمُ ذكرِ القَبَسِ في سورةِ طهَ على الخبرِ، وتأخيرُهُ في سورتَي النَّملِ والقصصِ.

والجوابُ: أنَّ القصَّةَ محكيَّةٌ على معناها[3]. يضافُ إلى ذلكَ مراعاةُ فواصلِ الآيِ.

ومنها: أنَّهُ قالَ في سورةِ القصصِ: ﴿أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾، وقالَ في النَّملِ: ﴿بِشِهَابٖ قَبَسٍ﴾ [النمل: 7]، وقالَ في طهَ: ﴿بِقَبَسٍ﴾ [طه: 10]. **والجوابُ**: أنَّ الجَذْوةَ مِنَ النّارِ خشبةٌ في رأسِها قَبَسٌ لها شهابٌ، فهي في السّورِ الثَّلاثِ عبارةٌ عن مُعبَّرٍ واحدٍ[4]. **ومنها**: الإفصاحُ في سورتَي النَّملِ والقصصِ بسببِ الحاجةِ إلى النّارِ، وهو الاصطلاءُ، ولم يقعْ ذلكَ في سورةِ طهَ.

والجوابُ: أنَّ ذلكَ إخبارٌ بزيادةٍ لا يعارضُها شيءٌ ممّا في سورةِ طهَ[5].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الأهلُ والآلُ:

(الآلُ) مقلوبٌ مِنَ (الأهلِ)، ويُصغَّرُ على (أُهَيْلٍ)، وفُرِّقَ بينَهما: بأنَّ (الآلَ) مخصوصٌ بالإضافةِ إلى الأعلامِ النّاطقينَ، ولا يُضافُ إلى النَّكراتِ، ولا إلى الأزمنةِ والأمكنةِ، يقالُ: آلُ فلانٍ، ولا يقالُ: آلُ رجلٍ، ولا آلُ زمانِ كذا أو موضعِ كذا، ويُضافُ إلى

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 349.
(2) ابن التّمجيد، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 343.
(3) الغرناطيّ، ملاك التّأويل: 2/ 331.
(4) الكرمانيّ، البرهان، ص: 173.
(5) الغرناطيّ، ملاك التّأويل: 2/ 331.

الأشرفِ الأفضلِ، فيقالُ مثلًا: آلُ اللّهِ، وآلُ السُّلطانِ، ولا يقالُ: آلُ الخيّاطِ. والأهلُ يُضافُ إلى الكلِّ، يقالُ: أهلُ اللّهِ، وأهلُ الخيّاطِ، كما يقالُ: أهلُ زمنٍ كذا، وأهلُ بلدٍ كذا[1]. ويُطلَقُ الآلُ أيضًا على الأتباعِ والموالينَ، قالَ سبحانَهُ: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: 46][2].

الأهـلُ أعـمُّ مِـنَ الآلِ، مِـنْ حيثُ الإضافةُ

الإيناسُ والإبصارُ:

هناك فَرقٌ بينَ الإيناسِ والإبصارِ: بأنَّ الإيناسَ هو الإبصارُ البيِّنُ الَّذي لا شُبْهةَ فيهِ[3].

الإيـنـاسُ هو الإبصارُ البيِّنُ، وهـو أعـمُّ مِـنَ الإبصارِ

وقيلَ: أصلُ الإيناسِ الإحساسُ والشُّعورُ بأمرٍ خفيٍّ، فيكونُ أعمَّ مِنَ الإبصارِ[4]؛ لأنَّهُ يكونُ في المرئيّاتِ وفي الأصواتِ[5].

(1) الرّاغب، المفردات: (أل)، والنزهيّ، الفروق اللغوية، ص: 29.
(2) زيدان، الفروق اللّغويّة في القرآن الكريم، ص: 9.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 53، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 22/ 16.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 280.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 225.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»